

السيرة النبوية من منظور الاستشراق الفرنسي

*The Prophetic Biography From The French Orientalism's Perspective*عائشة سلمي¹

كلية العلوم الإسلامية خروبة-جامعة الجزائر

مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية

ai.selmi@univ-alger.dz

أ. د. شنتوح ليليا

كلية العلوم الإسلامية خروبة-جامعة الجزائر

Liliasana882@yahoo.com

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/07/10 النشر على الخط 2023/09/15

Received 24/12/2022 Accepted 10/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

يستظهر البحث موضوع السيرة النبوية الشريفة من منظور الاستشراق الفرنسي، مبرزاً أهم النقاط والمواضيع والإشكالات التي حازت على اهتمام وبحث ودراسة ونقد أولئك المستشرقين، وقبل ذلك كان لابد من التعرّيج على مقدمات تتعلق بتاريخ مدرسة الاستشراق الفرنسية وأهم أعلامها البارزين الذين ارتبطت أسماؤهم بالكتابة والإنتاج في السيرة النبوية المطهرة، ثم بدايات الاحتكاك الأولى بين الاستشراق الفرنسي والحضارة الإسلامية بكل روافدها الثقافية والعلمية، بالتركيز على موضوع السيرة النبوية، باعتباره موضوع البحث، ليظهر لنا جلياً مدى فقدان أغلب المستشرقين للحيادية والموضوعية التي طالما نادى ودعا إليها المنهج العلمي الغربي.

الكلمات المفتاحية: السيرة ، المنظور، الاستشراق.

Abstract:

The research demonstrate the subject of the noble prophetic biography from the French orientalism's perspective, putting light on the main points, topics and problems which gained the attention, research, study and criticism of that orientalists, and before all it was necessary to swing by introductions concerning the history of the French orientalism school and its important prominent leaders that were associated in the writing and creation in the pure prophetic biography, then the beginning of the initial contact between the French orientalism and the Islamic civilization with all its cultural and scientific tributaries focusing on the subject of the prophetic biography as the topic of inquiry , to show clearly how much most of orientalist lost their neutralism and objectivity which the western scientific approach has always called for.

Keywords: biography, perspective, orientalism.

1. مقدمة:

حظي موضوع السيرة النبوية باهتمام بالغ من المستشرقين، باعتبارها الركيزة الثانية في الإسلام بعد القرآن الكريم، وكذلك باعتبارها تشخص سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة الأهم والأكثر بحثاً وجدلاً ونقداً، وكذا لأن دراسة تلك السيرة تعطي للمستشرق صورة كاملة عن الدين الإسلامي كيف بدأ وكيف سار وانتشر وتوسع من خلال أفعال وأقوال رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال هذا البحث سنشخص الاستشراق الفرنسي بالدراسة والتدقيق، لأنه -حسب رأيي الشخصي- أكثر استشراق اهتم بالسيرة النبوية وحيات النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الولادة للوفاء، وتفصيل حياته الخاصة والعامة من خلال انتاجات ودراسات مستشرقيه عبر القرون الطويلة.

فما مميزات وخصائص مدرسة الاستشراق الفرنسية، الرائدة في مجال البحوث والدراسات الإسلامية والتحقيق والنقد؟، ومن هم أعلامها البارزين المؤثرين في مجال الكتابة في السيرة النبوية المطهرة خاصة؟، ثم كيف بدأت نواة العلاقة الأولى بين الاستشراق الفرنسي والتراث الإسلامي، متمثلاً في السيرة النبوية المطهرة؟، وما أهم وأكثر المواضيع المتعلقة بالسيرة النبوية التي تم تناولها من طرفهم كباحثين خارجين عن الدائرة الإسلامية؟ وما ميز ذلك من أخطاء أو سوء فهم وتقدير لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى المسلمين خصوصاً وفي الإسلام إجمالاً.

ويسعى البحث لمعرفة باب السيرة النبوية عند أهم مدرسة استشراقية، والتي يعد مستشرقوها من أوائل من قرأ وألف عن السيرة النبوية خصوصاً والتراث الإسلامي عموماً، وهي المدرسة الفرنسية، كما يسعى البحث لجمع تلك الكتابات على اختلافها وعبر كل العصور.

وللإجابة على إشكالية الموضوع، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور هي كالتالي:

محور المفاهيم، محور مدرسة الاستشراق الفرنسية وخصائصها وأهم روادها، محور تناول كيفية نشأة العلاقة بين المستشرقين الفرنسيين والتراث الإسلامي (السيرة النبوية)، أما المحور الثالث فتم تخصيصه لأهم موضوعات السيرة النبوية وحيات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تناولها المستشرقون الفرنسيون، وأخيراً خاتمة فيها أهم النتائج المستقاة من البحث في هذا الموضوع.

2. المفاهيم:

1.2 مفهوم السيرة النبوية

أ) لغة: السيرة هي الطريقة والسنة والهئية¹.

السيرة هي الطريقة في الشيء والسنة، لأنها تسير وتجري².

فالسيرة هي الطريقة، وسيرة الرسول، أي طريقته ومنهجه في الحياة.

¹ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005. ص 412.

² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ج 3، 1979. ص 121.

(ب) اصطلاحاً: أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وهي ضرب من التاريخ، لكنه تاريخ لأنصع الصفحات في حياة أمتنا، تاريخ حياة خاتم الأنبياء منذ ولادته وحتى وفاته¹.
ومنه، السيرة النبوية هي مجموع الوقائع والأحداث والأقوال والأفعال الصادرة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حياته منذ ولادته - قبل البعثة - وحتى وفاته.

2.2 مفهوم الاستشراق

(أ) لغة: شَرَّقَ: الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح ومن ذلك شرقت الشمس إذا طلعت، والشرق، المشرق².

الشَّرْقُ: حيث تشرق الشمس، الأخذ في ناحية الشرق، جمع شُرُقٌ³.

من خلال ما سبق، نتبين أن الشرق جهة؛ حيث تشرق الشمس وتطلع، ومنه فالشرقي من عاش بالشرق، يقابله الغربي من عاش بجهة الغرب، إذن فالاستشراق مصدر للشَّرْقِ وهو إتيان الشرق أو المشرق والقدوم لجهته، فالمستشرق من جاء من الغرب إلى الشرق دارساً وباحثاً، ناقداً أو متأثراً.

(ب) اصطلاحاً: الاستشراق "حركة علمية عنيت ولا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية، ما غبر منها وما حضر، ما طمس ذكره منها وما استقر، وما خلفته تلك الحضارات من آثار فكرية أدبية وفنية ودينية.."⁴.

لا يقتصر لفظ الاستشراق على الرقعة الجغرافية فحسب، بل يتجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، باعتبار لغتها العربية ودينها الإسلام وأيضاً لا يقتصر لفظ وصفة الاستشراق على الغربيين فقط بل يتعداه إلى الشرقيين أيضاً ممن بحث في الشرق ولغاته ودينه وأدبه.. وبذلك نقول: الاستشراق الروسي والاستشراق الياباني والاستشراق الصيني⁵.
إذن، فالاستشراق هو أي دراسة أو بحث أو نقد أو مراجعة أو تحليل أو وصف للآخر، هذا الآخر مختلف في توجهاته وأفكاره ودينه ولغته وتقاليده: فالاستشراق هو ما كان خارجاً عن الذات متجهاً نحو الآخر بغية التعارف والتواصل أو الحوار والنقاش أو الاهتداء والمعرفة.

3. مدرسة الاستشراق الفرنسية، خصائصها وأهم أعلامها:

1.3 مدرسة الاستشراق الفرنسية:

تعد المدرسة الفرنسية في الاستشراق أعرق وأقدم المدارس الاستشراقية؛ نظراً لتجذر علاقات فرنسا مع الشرق الإسلامي وذلك منذ عهد فتوحات العرب لأوروبا وجنوب فرنسا ثم عهد الخلافة العباسية وبالتحديد زمن شارلمان، ثم قيام الحروب الصليبية وإنشاء طرق

¹ - محمد سرور بن نايف زين العابدين، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1988. ص 74.

² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ص 264.

³ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط. ص 897.

⁴ - يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، المطبعة المخلصية، بيروت، ج2، ط2، 1961. ص 771.

⁵ - محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1999. ص 12

التجارة وتبادل السفراء وتوالي الرحلات، واحتلال شمال إفريقيا وحملة نابليون على مصر وفتح قناة السويس ، والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان..، وقد كانت تلك الصلات متعددة، متنوعة، متعاقبة، اختلطت فيها الحرب والسلم والتجارة والثقافة معا¹. هذا التاريخ السياسي المتواصل جعل فرنسا من أوائل الدول الأوروبية التي عنيت بالدراسات الإسلامية والعربية للاستفادة منها وترجمة آثارها، ثم إنشاء كراسي علمية لتدريسها وإيفاد طلابها لمدارس الأندلس، ليكون بعدها إنشاء معاهد وجامعات فرنسية لتدريس اللغات الشرقية وكذا مجالات اهتمت بالتراث العربي والإسلامي².

2.3 خصائص مدرسة الاستشراق الفرنسية:

- تتحلى خصائص هذه المدرسة الاستشراقية العريقة الضاربة في جذور العلاقة مع المسلمين، في النقاط التالية:
- تعدد مواضيع البحث والدراسة والنقد، من العقيدة إلى التاريخ والسيرة النبوية، مروراً بالفقه وأحكام الشريعة، إلى الأدب العربي وإنتاجات المسلمين.
 - ارتباط الاستشراق الفرنسي بالاستعمار والتبشير، بل يعتبر الاستشراق الفرنسي من دعائم الاستعمار من أجل خدمة المصالح السياسية والاقتصادية والدينية.
 - وضوح الاستشراق الفرنسي في الإفصاح والجلء في التعبير والدقة في البحث، فالمستشرق الفرنسي يحاول دائماً أن يعطينا عن الموضوع الذي يتناوله صورة ناصعة وعبرة ليس فيها أي لبس أو غموض³.
 - تميزها بدراسة التاريخ الإسلامي أكثر من أي موضوع آخر.
 - الاهتمام بدراسة المعارف الخاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقع تحت قبضتها الاستعمارية "مصر وشمال إفريقيا".
 - العمق والدقة والصبر، والإحاطة والشمول في سائر الدراسات الشرقية، "آداب، تاريخ، فلسفة، علوم، فنون، عمارة وآثار...".
 - الاهتمام بالبيوغرافيا، أي الفهرسة، وتحليل الآثار القلمية الكلاسيكية، سواء كانت عربية، فارسية أو تركية⁴.
 - تكوين الجمعيات والمجلات الشرقية والكراسي العلمية في الجامعات.

3.3 أهم أعلام مدرسة الاستشراق الفرنسية:

تميزت المدرسة الفرنسية في الاستشراق بباحثين وعلماء جهابذة، كان لهم الإنتاج الغزير والطويل وفي كل مجالات البحث والدراسة، والنقد والتحليل والتحقيق في ميدان الإسلام وعلومه، نذكر البارزين منهم والمؤثرين على الساحة عبر كل العصور:

¹ - نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط3، 1964، ج 1. ص 151.

² - فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه وآثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، الرباط، المغرب، 1433/2012. ص 22.

³ - أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1998. ص 222.

⁴ - فتح الله محمد، الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم (دراسة لترجمتي ريجيس بلاشير وجاك بيرك)، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، 2014 / 2015 م. ص 72

(أ) سلفستر دي ساسي (1838/1758)

يلقب بشيخ المستشرقين الفرنسيين؛ نظرا لأنه كان معلما لكل أجيال المستشرقين من بعده، ولأن الكل أخذ عنه، وقد كان مكلفا بالمخطوطات الشرقية بمكتبة باريس الوطنية.

كتب عن قدماء العرب وعن اليمن وديانة الدرروز، كما لخص بعض الكتب العربية، وكتب عن تاريخ مصر والحجاز، كان من مؤسسي الجمعية الآسيوية ثم رئيسا لها¹، بعد أن قضى حياته في خدمة الاستشراق بالتعليم والتصنيف والترجمة والتحقيق، والنشر وإصدار مجلة الجمعية الآسيوية.

عدّ إمام المستشرقين في عصره واختلف العلماء في أوروبا قاطبة عليه وأخذوا عنه ونظموا الاستشراق في بلدانهم على نمطه وبفضله².

(ب) ريجيس بلاشير (1973/1900)

تخرج من كلية الآداب بالجزائر، لتستدعيه مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذا لكرسي الأدب فيها، ثم نال الدكتوراه لاحقا وصار أستاذا بالسربون³.

يتميز المستشرق بلاشير عن غيره بتعمقه في دراسة الأدب العربي واستيعابه لانتاجات غيره؛ لذلك نراه يصحح تارة ويعارض تارة أخرى، وكذا تفانيه وإخلاصه وحببه الشديد للشرق وتراثه⁴.

(ت) لوي ماسينيون (1962/1883)

مستشرق عظيم، امتاز بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان، والقدرة على استنباط التيارات المستوردة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية⁵.

حاصل على ليسانس الآداب من الجزائر، ثم على دبلوم الدراسات العليا من المغرب، لينال من مدرسة اللغات الشرقية دبلوم اللغة العربية، لينتقل بعدها للدراسة بالأزهر ويتخصص في دراسة الآثار الإسلامية، لتنتدبه الجامعة المصرية أستاذا للفلسفة، وبعد أن أقام بعدة مدن إسلامية، رجع لباريس وعين أستاذا ومديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا، وقد حصل على الدكتوراه من السربون في دراسته حول آلام الحلاج⁶.

(ث) أرنست رينان (1892/1823): فيلسوف ومؤرخ، دخل المدارس اللاهوتية وبرز فيها، تزلع في اللغات الشرقية حتى صار من ثقافتها، ليسافر إلى المشرق وينزل ببلبنان؛ حيث اهتم بالعقائد الإسلامية⁷.

¹ - فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه وآثاره. ص 23.

² - نجيب العقيلي، المستشرقون، ج 1. ص 180/181.

³ - المرجع نفسه. ص 316.

⁴ - نجم الدين غالب الكيب، شخصيات من الشرق والغرب، دار الكتاب اللبناني، 1969، د.ط. ص 112.

⁵ - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993 م. ص 529.

⁶ - نجيب العقيلي، المستشرقون، ج 1. ص 287/288.

⁷ - المرجع نفسه. ص 202.

اهتم كثيرا بتاريخ الأديان واللغات والأجناس، واشتهر بدفاعه عن العلم والعقل والعقلانية¹، كما يعد مؤرخا للمسيحية والفلسفة. حصل على الليسانس من كلية الآداب، وقد كتب بحثين حصل بهما على جائزتين من أكاديمية النقوش والفنون الجميلة، ثم كلف بمهمة علمية في إيطاليا، ليعود بعدها ويكتب مقالات في مجلة، جمعت لاحقا في كتابين هما: دراسات في التاريخ والنقد، دراسات في التاريخ الديني².

4. تاريخ العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية:

تتجذر العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والعالم الإسلامي في أعماق التاريخ؛ حيث ابتدأت منذ زمن الفتوحات الإسلامية لأوروبا، حينها كان أول تماس بين الحضارتين الإسلامية والرومانية الغربية القديمة، لتستمر العلاقة حتى عصر النهضة الأوروبية مروراً بالاستعمار ثم العصر الحديث، وعليه قسمنا هذا العنصر إلى المراحل الزمنية التالية*:

أولاً: القرون الوسطى حين تفاجأ الأوروبيون والفرنسيون بموجة فتوحات واسعة وبجيوش جرارة تقتحم بلدانهم وتحز ممالكهم وسلاطينهم، جاءت الكتابات كردات فعل أولى عن حركة الفتوحات الشاملة، وقد تميزت بالتسرع وسوء الفهم للإسلام عموماً وللكتابة عن النبي خصوصاً، وانحصرت في الترجمات، لذلك كانت الإنتاجات قليلة وعمامة من رجال الدين وأساقفة الكنائس فقط، باعتبار سيطرة الكنيسة آنذاك على المشهد السياسي والديني لأوروبا.

وقد تبوأ بطرس المبحل (1156 م) موقعا رائدا في تاريخ الفكر الديني الغربي، وفي تاريخ الدراسات العربية والإسلامية، فشكل فريق ترجمة لنقل العلوم من العربية إلى اللاتينية. ومن أعمال هذا الفريق في السيرة النبوية نجد: ترجمة كتاب أنساب رسول الله لكعب الأبحار³.

ونجد أيضا المستشرق فالتر الكامبيني Walter Von Compiegne (1155 م) الذي كتب عن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مجملا لأحداثها كما يراها ويتصورها واستنادا للأخبار التي وصلته، في قالب أسطوري فلكلوري تبعا للزمن الذي عاش فيه الكاتب، والذي تميز بطغيان قصص الخيال وانتشار الأساطير⁴.

ثانياً: عصر التنوير شكل هذا العصر ذروة الإنتاج والكتابة حول النبي صلى الله عليه وسلم، فكان عصر نخضة بامتياز في مجال الكتابة عن السيرة النبوية، حيث تعددت أصناف الكتابة وبجالاتها وأبوابها، وحتى أنواعها، فانبثقت كتابات منصفة تقوم على المنهج العلمي الحيادي، والبعيد عن العاطفة وردة الفعل والتهجم.

¹ - أحمد الفراك، استشراق أرنت رينان بين الفكرانية والخوف من مستقبل الإسلام، 2019/06/21، منار الإسلام، <https://islamanar.com>

² - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ط1، 1984. ص 548

* تناولنا في عنصر العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والتراث الإسلامي لإنتاجات مستشرقين غير معروفين نوعا ما، بهدف التعريف بما كتبه ونقلوه عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ليتسنى للقارئ معرفتها والاطلاع عليها.

³ - رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المجلد الأول، ط1، 2015 م. ص 87.

⁴ - المرجع نفسه. ص 71.

وقد أفرز عصر التنوير مدارس فكرية وفلسفية وعقلية، ركزت على مبدأ النقد والتحليل والمقارنة، كما أفرزت المرحلة تغيير في النظرة إلى التاريخ أيا كان، فبعد أن كان خاضعا للكنيسة ومعبرا عن فلسفة المشيئة الإلهية، تحول إلى دراسة اجتماعية وليس لاهوتية¹، وانعكس ذلك طبعا على الدراسات الإسلامية المتعلقة بحياة النبي وسيرته التي ألفت في العصور الوسطى.

وقد شهد النصف الأول من القرن 18 م نظرة جديدة إلى الإسلام ونبيه، ذلك أن هذا العصر جاء متحررا من النزعة اللاهوتية التي شجعتها الكنيسة في أوروبا سابقا، وممن تناول السيرة النبوية بالبحث والدراسة نذكر: الكونت هنري دي بوليفيه الذي أصدر كتاب "حياة محمد" سنة 1730 م، فولتير في رسالته "محمد" سنة 1742 م، جي جانويه وكتابه "حياة محمد"، برتملي هيلر وكتابه "محمد والقرآن" سنة 1865 م، دي كورتاي "صعود محمد ومعجزاته" سنة 1888².

ثالثا: العصر الحديث: كان بمثابة تكملة لعصر التنوير في إتباع المنهج العلمي في الكتابة والتنوع، لكن بأقل غزارة ومردودية، نظرا للاكتفاء الذي حققته المدارس الاستشراقية من الدراسات الإسلامية في كل مجالاتها.

وتميز هذا العصر عموما بزيادة الاهتمام في ملاحقة البحث للحصول على المخطوطات الإسلامية لتحقيقها ودراستها، كذلك الاعتماد على المصادر الإسلامية الأصيلة، وكذا ظهور أعمال استشراقية ذات مناهج وأهداف واضحة وجلية، منها الأهداف السياسية والاستعمارية، والأهداف الاقتصادية، والأهداف الثقافية³.

ومن بين من برز للكتابة في مجال السيرة النبوية في العصر الحديث، نذكر: بول كازانوف "محمد ونهاية العالم" سنة 1910 م، إيتيان دينيه كتابه "محمد في السير النبوية"، كلود كوهين "سيرة الرسول وتاريخ الخلفاء الراشدين لأبي زرة" سنة 1936 م، ريجيس بلاشير "مشكلة محمد" سنة 1952 م، جودفري ديمومبين كتاب "محمد" سنة 1958 م، مكسيم رودنسون "حياة محمد" سنة 1961 م.

5. مواضيع السيرة النبوية من منظور الاستشراق الفرنسي:

أثار المستشرقون الفرنسيون الجدل في تناولهم للسيرة النبوية، وذلك من خلال الكثير من المواضيع التي كتبوا وأنتجوا فيها المؤلفات والتقارير والبحوث العلمية والمناهج الدراسية، وفي هذا المحور سنتطرق لأكثر المواضيع اختلافا وتأثيرا على الساحة العلمية، سواء لدى المستشرقين أو عند المسلمين.

لذلك، سيكون هذا العنصر ذو جزأين؛ الأول عرض الموضوع من منظور المستشرقين الفرنسيين، ماذا قالوا عنه؟ وكيف كتبوا فيه؟، والجزء الثاني مناقشة الموضوع أو محاولة الرد عليه باختصار.

و في النقاش على ما طرحه أولئك المستشرقون، سنحاول عرض الكتابات التي جاءت على لسان مستشرقين آخرين، والتي كانت بمثابة ردود حيادية وموضوعية، بعيدا عن أي تعصب أو محاباة أو ميلان عن المنهج العلمي المعروف.

¹ - عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ (الإشكاليات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات)، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2013. ص 196.

² - فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998. ص 53.

³ - عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ (الإشكاليات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات). ص 202.

ولعلنا نستهل عرض المواضيع بقاعدة أكدها المستشرق الفرنسي إيتيان دينيه قائلا: " إنه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته"، وصرح في مقدمة كتابه << تاريخ حياة سيدنا محمد >> أنه من المتعذر بل من المستحيل أن يتحرر المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة¹.

أولاً: الوحي

باعتبار غيبية الوحي، وأنه من القضايا الإيمانية التي لا تخضع للتجريب أو الحس، فقد شكل موضوعه لغزا محيرا لدى المستشرقين، فوضعوا عنده الكثير من التساؤلات والإشكالات والاتهامات.

وتجلى ذلك في طريقة تفسيره؛ لذلك نجدهم ينسبون إلى النبي نفسه، أي انعدام العلاقة بين الله ومحمد في قضية الوحي، يعني أن الوحي صادر عن النبي وليس رباني.

(أ) **العرض:** يتحدث إميل درمنغهام عن بدء الوحي على محمد بما يشبه التخيلات وأحلام اليقظة، التي تعرض لعموم الناس قائلا: "...ومن هو ذلك الذي لا يكاد يفارق محمدا في منامه؟ ومن هو ذلك الذي لم يذكر اسمه لمحمدا؟ لم يكن ذلك في المنام بعد أن عاد محمد لا ينام ولا يحلم، ولم ينفك ذلك الشخص العجيب عن الاقتراب منه"²، أما تلك التخيلات فاعتبرها درمنغهام نتيجة لصوم النبي الطويل وسهره وعزلته عن الناس وتحته في الجبل، فيقول: " أخذ محمد يزيد رغبة عن الاجتماع بالناس وصار يجد في عزلته في غار حراء ما تقر به عينه، فيقضي الأسابيع فيه ومعه زاد قليل، وأصبح له بالصوم والسهر...، وأضحى لا يفرق بين الليل والنهار وبين اليقظة والمنام، وغدا يقضي طويل الساعات جاثيا في الظلام أو مستلقيا تحت الشمس أو سائرا بخطى واسعة في الشعاب الصخرية"، وتارة يصف درمنغهام الوحي بالاضطراب النفسي قائلا: "فلما كانت سنة 610 كان الاضطراب النفسي الذي يعانيه محمد على أشده، فصار لا يحتمل أن ينقصه وينقص قومه بعض ما هو جوهرى، وأن ينسى الناس الأمر الضروري وأن يتمسك كل إنسان بصنم قبيلته وصنم عشيرته..."³.

ويتساءل هنري لامنس قائلا: " ما هو الأصل الذي يعزوه محمد للوحي؟ لقد قال عنه أنه صادر عن كتاب سماوي (القرآن)، أما الطريقة التي حدث فيها هذ الوحي، فإن القرآن لا يحتوي إلا على إشارات غامضة، وما من شك أن محمدا لم يصرح بوضوح حول هذه النقطة، أما الثابت فهو أن الله قد سلمه بواسطة روح، قدمه محمد كملاك ويدعى جبرائيل"⁴.

ثم يواصل لامنس سرده لفكرة بدايات الوحي، فيقول: "ويؤكد التقليد أن محمدا تلقى في بادئ الأمر نوعا من الدوي، فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه، وارتجف وتدثر بدثار. وهناك من المؤرخين المتأخرين والبيزنطيون منهم على الخصوص، تحدثوا عن

¹ - أنور الجندي، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، دار الأنصار، القاهرة، 1979. ص 10.

² - إميل درمنغهام، حياة محمد، ص 58، نقلا عن (رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين وموافقهم من النبي صلى الله عليه وسلم) (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية)). ص 600.

³ - إميل درمنغهام، الشخصية المحمدية (السيرة والمسيرة)، ترجمة عادل زعيتر. ص 75.

⁴ - هنري لامنس، الإسلام، ترجمة بيج شعبان، مطبوعات عويدات، بيروت، ط3، 1988. ص 100.

الصراع الذي يمكن أن يكون محمدا مصابا به، ومن المعلوم في القرون الوسطى أن هؤلاء المرضى كانوا يعتبرون كأن روحا يتملكهم، وقد أصبحت الفورات مألوفة عند محمد كثيرا ابتداء من الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان¹.

(ب) المناقشة: في سياق نفي المستشرقين ربانية الوحي ونسبتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مجرد وحي نفسي، يقول المستشرق هنري سيرويا مؤكدا: " القرآن وحي من الله، لا يدانيه أسلوب البشر، وهو في الوقت عينه، ثورة عقديّة، هذه الثورة العقديّة لا تعترف لا بالبابا ولا بأي مجتمع لعلماء الكهنوت والقساوسة، حيث لم يشعر الإسلام يوما بالخشية ولا بالهلع من مبدأ التحكيم العقلي والفلسفي..."²، من جهة يستغرب المستشرق الفرنسي، اللورد هنري دي كاستري متسائلا: " إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى، آيات لما سمعها لما عقبه بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر ابن الخطاب فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا، وما جاء في ولادة يحيى. وصاح القس أن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى عليه السلام، لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي، لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب."³، إذن، فالمستشرق هنري كاستري يبطل ما جاء به رفاقه من المستشرقين أن الوحي مجرد تخيلات أو أحلام أو أعراض مرض نفسي أو أن مصدر الوحي هو محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، بالنظر لأسلوبه ومحتواه وغاياته التي جاءت لحرب الكهنوت ونفي فرض السلطة الدينية مهما كانت.

ثانياً: السنة النبوية

لم يفرد المستشرقون القدامى السنة بدراسات مستقلة، بل ركزوا على العقيدة والقرآن والسيرة والتاريخ عموماً في خطة منهم لغزو فكري واسع ومخطط تغريب شامل، يستهدف سيرة الرسول والشريعة الإسلامية والقرآن الكريم، وقد جند لذلك عدد ضخم من المستشرقين وأتباع مدارس الإرساليات التبشيرية في الشرق لتدمير منابع الأصيل في الفكر الإسلامي.

(أ) العرض: في نهاية القرن السابع عشر كتب المستشرق هريلو De Herplot - صاحب المكتبة الشرقية وهي دائرة معارف عن الشرق - رأياً ملخصه أن جملة الأحاديث التي في الكتب الستة والموطأ والدارمي والدارقطني والبيهقي والسيوطي مأخوذة إلى حد كبير من التلمود، كذلك يلاحظ في دراسة هريلو التكذيب للرسول واتهامه بالزيف وبالألقاب الأخرى الشائنة، والزعم بأن المحمدية مستقاة من التلمود، واليهود الذين دخلوا الإسلام، مما سيطور فيما بعد الأخذ من عدة ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب، كما يشكك المستشرق موريس بوكاي في كتابه << القرآن والتوراة والإنجيل والعلم >> ببعض الأحاديث في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق وكتاب الطب، لأنها لا توافق العلم الحديث على حد زعمه⁴.

¹ - المرجع نفسه. ص 101

² - رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية). ص 615.

³ - رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية). ص 589-590.

⁴ - أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية. دط، دت. ص 75/70.

أما المستشرق سوفاجيه، فقد حاول في كتابه << الحديث عند العرب >> تفنيد المعتقد الخاطئ عن وصول الحديث بطرق المشافهة وحدها، وجمع أدلة كثيرة على تدوين الأحاديث والتعويل عليه في عصر مبكر، بدأ في مطلع القرن الثاني الهجري وليس في حياة النبي محمد¹.

من جهة أخرى اتجه بعض المستشرقين إلى القول أن المحدثين نصبوا نقدهم للحديث على السند دون المتن، ومن أمثال من قال بهذا نجد، المستشرق غاستون فييت، حيث قال: لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن، ذلك لسنا متأكدين أن الحديث وصلنا كما هو عن رسول الله، من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً بحسن نية أثناء روايتهم للحديث².

(ب) المناقشة: إن أخطاء المستشرقين في موضوع السنة، يمكن أن يرجع إلى عدة عوامل أساسية متباينة منها: عدم تدقيق اللغة العربية بالقدر الكافي، ضحالة فهم الثقافة الإسلامية وتاريخ صدر الإسلام، إهمال المنهج النقدي عند المحدثين³، التعسف في تفسير النصوص بسبب الأهواء الدينية والقومية وإهمال المنهج العلمي الرصين.

يتحدث موريس بوكاي عن السنة النبوية واصفاً ومحدداً مكانتها وكيفية جمعها وقواعد ذلك وخطواته، قائلاً: "ليس القرآن هو المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة في الإسلام، بل إن السنة النبوية من أفعال النبي وأقواله، هي المصدر الثاني الذي عني العلماء بطلبه، تكملة للمصدر الأول، حتى أثناء حياة النبي، فضلاً عنه بعد وفاته، وكانت معلومات هذا المصدر الثاني تعتمد فقط على النقل الشفهي، لذلك فإن الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال والأفعال في نصوص، قد قاموا بتحقيقات تتسم دائماً بالصعوبة كما هو الشأن في حكاية جميع الأحداث بعد انقضائها، ولهذا كان همهم الأول في عملهم العسير في مدوناتهم منصباً أولاً على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة وبكل قول في حياة النبي محمد، لذلك فقد نصوا على أسماء الذين نقلوا أحاديث النبي بالصعود في الإسناد من أسرة النبي إلى أصحابه"⁴.

ثالثاً: القرآن

(أ) العرض: لطالما صرح المستشرقون الفرنسيون عبر مختلف العصور وبتنوع الكتابات على أن القرآن كان من تأليف محمد، ونفوا عنه إلهية المصدر، وبالتالي فهو تأليف بشري يعتريه الخطأ والتكرار، والحذف والتناقض في مختلف المواضيع التي يتناولها، ومن هؤلاء الفرنسي لويس سيديو.

حيث يقر أن القرآن من تأليف محمد، وأنه خاص بالعرب، ويحدد رسالة القرآن من وجهة نظره فيقول: "نحن حين نقدر القرآن، نقول أن محمداً لم يبتغ في تأليفه أن يمنح البشرية أدباً أفضل مما في الإنجيل، أو أن يفرض دستوراً واحداً على جميع أمم الشرق، أو

¹ - محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، دار الفجر، الأردن، ط1، 1999. ص 65.

² - عائشة بنت عايد مفلح الهذلي، شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليها، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، القاهرة، العدد 72، المجلد 11، 2016. ص 441.

³ - أنور الجندي، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق. ص 3.

⁴ - موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، ترجمة الشيخ حسن الخالد، المكتب الإسلامي، لبنان، ط3، 1990. ص 283.

أن يحصر الشعور الديني في حدود أبدية لا تتبدل، وإنما أراد أن يربط جميع قبائل جزيرة العرب بقاعدة مشتركة وأن يوحدتهم تحت لواء واحد"، ثم يؤكد قائلاً: والحق أنك لا تجد ما في القرآن ما هو غير منسجم مع ميول الأمة العربية¹.

وفي سياق الحديث عن موضع القرآن الكريم، لطالما قيل لنا أن المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون الذي كتب << حضارة العرب >> رجل حصيف وعادل، وهو يثني على العرب وحضارتهم، وكتابه هو اعتراف بمكانتهم، لكنهم لم يقولوا لنا ماذا قال عن القرآن: "ليس في عامية القرآن أو هويته الصيبانية التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس"²، أي أن لوبون يرى أن القرآن الكريم في لغته و أفكاره لا يرقى إلى الهندوسية، ثم ينكر شمولية القرآن، ويرى أنه مؤقت لعصره، وأنه لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين!.

(ب) المناقشة: في سياق التحدث عن القرآن الكريم أكد الكثير من المستشرقين المسلمين على إظهار إعجاز القرآن الكريم ومقارنة ذلك بالكتب السابقة، بل وتأكيد تفوقه عليها من نواحي عدة، وذلك باعتبار هذا الجانب من أعظم ما يؤكد ألوهية مصدر الوحي المنزل على نبيينا صلى الله عليه وسلم.

ويقول المستشرق الفرنسي نصر الدين دينيه: إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد وإنه لا مناص لا من الاعتراف بأن الله العلي القدير الذي هو أملى تلك الآيات البينات، إن الرسول لم يكن مخادعا حين قال: «إن الله هو الذي أنزل القرآن»³.

كما يؤكد يقول الفرنسي جاك ريسلر: "لما كانت روعة القرآن في أسلوبه، فقد أنزل ليقرأ ويتلى بصوت عال، ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية، ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها، لتتمكن من تذوق جملة وقوته وسمو صياغته... فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمداً كان ملهماً بجلال الله وعظمته"⁴.

رابعاً: غزوات النبي

موضوع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد عموماً يدخلها المستشرقون من باب فرضه عنوة، ومن باب أن أغراضه مادية بحتة، فيرون أن الجهاد جاء إشغالا لأوقات الفراغ التي كان المسلمون يعيشونها، ودفعاً للبطالة التي صاروا إليها بسبب التحاقهم بالنبي محمد ﷺ، كما أن الجهاد شرع للانتقام من قريش التي أخرجت محمداً وأصحابه من مكة... وغيرها من الشبهات التي طرحوها بسبب سوء الفهم أو عدمه، لموضوع وغاية الجهاد في الإسلام.

(أ) العرض: يقول المستشرق سيدو: "أدرك النبي أن دينه أي الإسلام، ينهار إذا ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة، وكانت الحرب أفضل وسيلة لإمداد نار الحماسة التي أوقدها... وكانت غاية محمد من ذلك القول، إثارة حمية العرب الحربية، وكان

¹ سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين، الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية دراسة نقدية لكتاب تاريخ العرب العام، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، 1436 هـ. ص 111.

² أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص 68.

³ رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية) ص 593.

⁴ المرجع نفسه، ص 615.

محمد يعد السلاح أفضل وسيلة للدعوة"، ويرى نفس المستشرق في موطن آخر أن سبب الغزوات هو المادية، فيقول: " وكان من نتائج نظام الغنائم، تغذية الروح الحربية، وكانت أربعة أخماس الغنائم تعطى للجيش، وكان الخمس يوزع بين أكثر الناس سلماً على وجه يفيد الجهاد"¹.

ويخصي إيميل درمنغهم عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: " بلغ عدد مغازي محمد أربعين في عشر سنين، واشترك هذا الرجل الذي نعته بعضهم بالماكر الماهر وراه آخرون مصاباً بالصرع في نحو ثلاثين غزوة وأدار نحو عشر معارك بشخصه فضلاً عن المفاوضات الصعبة التي قام بها "²، في إشارة منه لنفسية العنف وأسلوب القوة وحب الحروب والقتل والتعدي، التي اتصف بها النبي حسب نظره.

ويصف المستشرق الميسيو كيمون في كتابه << ميثلوجيا الإسلام >>، الديانة المحمدية، بأنها جذام فشا في الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، أما جويليان في كتابه تاريخ فرنسا، فيذكر أن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى!! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس أسلموا أو موتوا³.

(ب) المناقشة: فهم الكثير من المستشرقين غاية الجهاد عموماً وغزوات النبي خصوصاً، فكتبوا بإنصاف وحيادية في هذا الموضوع عكس زملائهم الآخرين، ومن هؤلاء اخترنا:

الفيلسوف الفرنسي الكبير لا مارتين، صاحب كتاب: << محمد خير البشرية >> الذي كتب يقول:

"بعد أن وعينا تاريخ محمد (ص) - وهو يخاطب بني قومه - أقول: إن ثبات محمد وبقائه ثلاثة عشر عاماً يدعو دعوته في وسط أعدائه في قلب مكة ونواذيرها، ومجامع أهلها، وإن شهادته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته في نشر رسالته، وإن حروبه التي كان جيشه فيها أقل من جيش عدوه، وإن تطلعه في إعلاء الكلمة، وتأسيس العقيدة الصحيحة، لا إلى فتح الدول وإنشاء الإمبراطورية، كل ذلك أدلة على أن محمداً كان وراء يقين مضيء في قلبه، وعقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة، وحجة قائمة حطمت آلهة كاذبة، ونكست معبودات باطلة، وفتحت طريقاً جديداً للفكر في أحوال الناس، ومهدت سبيلاً للنظر في شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر، ورائد الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المحررة للإنسان، ومؤسس دين لا وثنية فيه."⁴

¹ - سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين، الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية دراسة نقدية لكتاب تاريخ العرب العام. ص 127/126.

² - إيميل درمنغهم، الشخصية المحمدية (السيرة والمسيرة)، ترجمة عادل زعيتير. ص 186.

³ - حكمت بن بشير بن ياسين، الرد على شبهة العنف المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، جامعة الملك عبد العزيز، معهد البحوث والاستشارات، 1428 هـ. ص 6.

⁴ - العربي الغساسبي، محمد رسول الإسلام، من خلال آراء فلاسفة الغرب ومشاهير عظمائه وكتابه، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، العدد 352/351، أبريل - مايو - يونيو 2000 م.

ومن بين المستشرقين الذي تحدثوا عن الغزوات النبوية والجهاد الإسلامي كذلك، الفيلسوف والأديب الفرنسي وولتر، والذي يذكر ما نصه تحت عنوان: << محمد... قدوة الدين الحق >>، قائلا: "إن السنن التي أتى بها النبي محمد (ص) كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جذب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت عدة عديدة من أمم الأرض، حتى زواج أواسط إفريقيا، وسكان جزر المحيط الهندي، وليس بصحيح ما يدعى من أن الإسلام استولى قهرا بالسيف على أكثر من نصف الكرة الأرضية، بل كان سبب انتشاره شدة رغبة الناس بعد أن أقنع عقولهم، وأكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة هو اتصافهم بالقيم العالية"¹.

خامسا: تعدد زوجات النبي

نالت مسألة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم جانبا مهما في كتابات المستشرقين الفرنسيين قديما وحديثا، وأسالت الكثير من الحبر في البحوث والدراسات، وكانت مسألة التعدد في زواجه منفذا للتشكيك والظعن في رسالته وشخصه، وحين يبحثون عن أسباب هذا التعدد فلا يجدون تعليلا، فينسبون له الشهوة الجنسية والثورة الغريزية دون البحث عن الأسباب الحقيقية لهذا التعدد²

(أ) **العرض:** وما هو غوستاف لوبون المحسوب على المستشرقين المعتدلين، والذين أشادوا بالإسلام ونبوه وحضارة العرب، ما لبث أن وقع في الإساءة وسوء اللفظ عند كتابته عن موضوع تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "وضعف محمد الوحيد هو حبسه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُحْفِ محمد حبه للنساء فقد قال: «حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ: الطَّيِّبِ، وَالنِّسَاءِ، وَجَعَلَتْ قَرْنِي عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»"، وواصل لوبون وصفه لحالة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بأشد عبارات عدم الاحترام والأدب في حضرة الكلام عن النبي ومقامه، قائلا: "ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين، وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين من سنها. وأطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى إنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرحها بعلمها ليتزوجها، فاغتم المسلمون، فأوحى إلى محمد، بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميًا، آيات تُسَوِّغُ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت، وتزوج محمد أربعة نسوة في سنة واحدة، وبلغ عدد من تزوجهن خمسة عشرة امرأة، واجتمع منهن إحدى عشرة في وقت واحد، وقد يرى الأوربي أن هذا العدد كبير، ولكن الشرقيين لا يرون إفراطا فيه، ما رأوا أنه يمكن للنبي أن يتزوج نساءً أكثر من أولئك لو سمح لنفسه أن يسري على غرار الملك سليمان العظيم الذي هو أكثر ملوك التوراة حكمة"³.

(ب) **المنافشة:** شهد بعض المستشرقين ببطلان فرية شهوانية النبي في تعدد زيجاته وفي حبه للنساء، ووقفوا موقف الإنصاف من هذا الموضوع، وفيما يلي بعضا من تلك الأقوال:

¹ - المرجع نفسه.

² - رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية). ص 961.

³ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013. ص 116.

يقول إميل درمنغهام: إن بعضهم يعيب محمدا في كثرة ميله للنساء، فإنه مما لا مشاحة فيه، أن محمدا لم يكن شرها ولا فخورا ولا متعصبا ولا منقادا للمطامع، بل كان حليما رقيق القلب عظيم الإنسانية¹، ويضيف درمنغهام كلاما رقيقا حول فارق السن الذي كان بين السيدة خديجة رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: " كانت خديجة جامعة لمتانة الزوجات الصالحات وحنان الأمهات ومن ثم كانت حاملة لبعلاها الأصغر منها سنا، أكمل ضروب الود والحب"².

وناقش المستشرق الفرنسي المسلم نصر الدين دينيه في كتابه << محمد رسول الله >> من يعيب على النبي حبه للنساء قائلا: "كان محمد يحب النساء، وقد عاب عليه الكثير من الأعداء ذلك، وحقا كان محمد رجلا بكل ما في الكلمة من معان خلقية ومادية، ورجولته امتازت بالعفة التي لا تتعارض مع أسباب اللذة البريئة المحرمة من الدنس. وإذا كان محمد قد عقد على ثلاثة وعشرين زوجة، فإنه لم يتصل إلا باثنتي عشرة منهن، أما الأخريات فتزوجهن لأسباب اقتصادية وسياسية محضه. وقد كان الرسول يعطف على النساء جميعا وحاول في كل مناسبة إنصافهن، فحرم أول ما حرم وأد البنات، ثم وضع حدا لتعدد الزوجات، فجعل العدد الأقصى منهن أربعاً"³.

سادسا: علاقة النبي بيهود المدينة

أخذت علاقة النبي بيهود المدينة حصتها من التناول والدراسة والنقد في كتابات المستشرقين الفرنسيين، سواء منهم قبيلة بني قينقاع أو بني النضير أو بني قريظة.

(أ) العرض:

1) قبيلة بني قينقاع: يذكر المستشرق مكسيم رودنسون أن الرسول بدأ بمهاجمة يهود بني قينقاع بجديّة، وأخذ أول خطوة له على هذا الطريق ضد العشيرة اليهودية من بني قينقاع، الذين كانوا على الأرجح أضعف الجماعات اليهودية في المدينة ليس بسبب قلة عددهم، لأنهم في حالات الطوارئ يستطيعون وضع سبعمائة جندي في الميدان، أربعمائة منهم بدون دروع، ولكن ضعفهم كان بسبب أن معظمهم كانوا يعملون في حرفة الصاغة"⁴.

2) قبيلة بني النضير: بعد أن أشار إميل درمنغهام إلى حادثة بئر معونة ذكر أن أحدا من الناجين من أصحاب الرسول قتل اثنين من اليهود ظنا منه أنهم من أعداء المسلمين، ونظرا لذلك فقد توجب على النبي أن يدفع ديتهما، وذهب إلى بني النضير ليتباحث معهم في الأمر، وفي أثناء ذلك ظن الرسول أنهم يدبرون لخيانته، حيث سبق لهم التآمر عليه، وكان منذ زمن قد قرر

¹ - رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية). ص 972.

² - إميل درمنغهام، الشخصية المحمدية (السيرة والمسيرة)، ترجمة عادل زعيتير. ص 76.

³ - إتيان دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1986. ص 228-229.

⁴ - مكسيم رودنسون، محمد، ص 172، نقلا عن "رانيا أحمد محمد إسماعيل، شبهات المستشرق مكسيم رودنسون حول معاملة النبي ليهود بني قينقاع، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 39، 2020 م. ص 917".

طردهم من المدينة ولكن معركة أحد عاقت تنفيذ ذلك، ثم أُنذروهم بمغادرة المدينة خلال عشرة أيام، وبالفعل غادروها حاملين معهم أمتعتهم الشخصية¹.

3) قبيلة بني قريظة: يرى مكسيم رودنسون أنه بتحريض من الأحزاب أرسلت بنو قريظة أحد عشر رجلاً ضد المسلمين، ولكن لم يسفر ذلك عن شيء، وأن المصادر الإسلامية بالغت كثيراً في أمر تلك الحادثة لتكون مبرراً للمذبحة القادمة، ويقصد بها تنفيذ الحكم فيهم، لیتهم النبي أنه هو من قرر مصيرهم مسبقاً، ثم يعود قائلاً أن تنفيذ تلك المذبحة كان غاية في الحكمة، لأن قريظة كانت دوماً مصدر تهديد للمدينة².

(ب) المناقشة: يرى عموم المستشرقين الذين طرحوا شبهاتهم حول هذا الموضوع، أن النبي ظلم اليهود الذين جاؤوه في المدينة المنورة، وكان أول من ظلم واعتدى، لينتهي بهم الأمر مطرودين من ديارهم بغير وجه حق. وسنحمل الرد على هذا، بذكر ما قاله المستشرقون عن أخلاق النبي في تعامله مع غير المسلمين عموماً، سواء يهود أو نصارى أو مشركين، لنخرج ببطلان ما أتوا به وتناقضه مع ما جاء في السير والكتب والمنقولات عبر التاريخ.

يقول المستشرق الفرنسي ألكسندر دوما: " كان محمد معجزة الشرق، لما في دينه من معالم، وفي أخلاقه من سمو، وفي صفاته من محامد"، ويذكر أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، المستشرق الفرنسي إدوار مونتينييه في كتابه >> حاضر الإسلام ومستقبله <<: "أما محمد، فكان كريم الأخلاق، حسن المعاشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفة الغالبة عليه هي صحة الحكم"، ويتناول المؤرخ الفرنسي كاردفو جانبا من بساطة الرسول ولين عريكته وسهولة خلقه، وذلك في كتابه >> العرب <<: "ومن المعروف عن محمد أنه مع أميته، كان أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً، دائم البشر، مطيل الصمت، لين الجانب، سهل الخلق، لا يحقر فقيراً لفكره ولا يهاب ملكاً لملكه"³.

أما المؤرخ سيديو، فقد أنصف النبي هذه المرة واصفاً: "من التحني على حقائق التاريخ، ما كان من عزو بعض الكتاب إلى محمد القسوة والجن، فقد نسي هؤلاء أنه عندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم في مصيرهم لحليفهم سعد بن معاذ، وأنه لم يرفض قط ما طلب إليه من اللطف والسماح" وأما أخلاقه وأفعاله صلى الله عليه وسلم، فكانت غاية في الكمال، منها عفوّه عن ألد أعدائه بعد فتح مكة، وحلمه في الأخذ بحقوق الحرب من القبائل، وأسفه على قضائه على بعض، وعدم استعانتها بما له من عظيم السطوة والسلطة على إجابة داعي القسوة..."⁴.

¹ - إيميل درمنغهم، الشخصية المحمدية (السيرة والمسيرة)، ترجمة عادل زعيتر. ص 242.

² - محمد بن فارس الجميل، النبي و يهود المدينة (دراسة تحليلية لعلاقة الرسول بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2006. ص 263/264.

³ - ينظر بحث: "أخلاق الرسول ومناقبه... في عيون بعض المستشرقين المنصفين"، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 326، 29 كانون الثاني 2014.

⁴ - لويس سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، مؤسسة هندواي، القاهرة، دط، د ت. ص 67.

بعد سرد بعضا من أقوال المستشرقين الموضوعيين والعقلاء حول أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع غيره، نستخلص افتراء وكذب تلك الادعاءات التي جاءت على السنة غيرهم، وعدم واقعيتها فيما يتعلق بتعامله مع يهود المدينة، وأن تصرفه عليه الصلاة والسلام وحكمه فيهم كان وحي يوحى، وأمر إلهي بحت.

6. خاتمة:

في نهاية هذا البحث نستخلص النتائج التالية:

- موضوع السيرة النبوية أكثر موضوع تم التطرق له من طرف المستشرقين الفرنسيين خاصة، نظرا لتعلقها بخير البشر صلى الله عليه وسلم وصاحب رسالة الإسلام.
- الاهتمام البالغ من طرف الاستشراق الفرنسي بموضوع السيرة، مما جعلهم في تنافس دائم مع مدارس استشراقية أخرى - خاصة الإنجليزية- طوال قرون.
- تطور الاستشراق الفرنسي منذ نشأته في القرون الوسطى وحتى القرن العشرين من استشراق لا موضوعي له خلفيات وأحكام مسبقة عن الإسلام والمسلمين إلى استشراق موضوعي حيادي نوعا ما.
- أكثر الدراسات الاستشراقية المتناولة من طرق الباحثين الفرنسيين كانت مسيئة ومشوهة للحقائق حول النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، بسبب أنهم أخذوا مواضيعها بصورة مادية حسية بحتة بعيدا عن الإيمان بالغيب.
- أظهرت الدراسات الاستشراقية حول السيرة النبوية ما في قلوب وعقول المستشرقين من أحقاد دفينية، ومدى التطرف في تناول مختلف الموضوعات فيها.
- ندرة البحوث الإسلامية الرصينة الموضوعية التي تتصدى للرد على ما أنتجه المستشرقون الفرنسيون طوال قرون من الزمن.

التوصيات:

- من خلال النتائج المتوصل إليها في الخاتمة، من الضروري التوصية بما يلي:
- أبحاث أكثر موضوعية عن الاستشراق والمستشرقين من طرف الباحثين المسلمين خاصة فيما تعلق بتناول المستشرقين لدراسة السيرة النبوية.
- ضرورة وجود دراسات تحوي أقوال المستشرقين بتواريخها ومصادرها الأصلية أو المترجمة.
- البعد كل البعد عن الشحن العاطفي والردود المتسارعة في الدراسات التي تتولى الرد على كتابات المستشرقين، خاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

7. قائمة المراجع:

الكتب:

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ج 3، 1979.
2. أحمد سميلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1998.
3. بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج 1، ط 1، 1984.
4. بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1993 م.
5. بهاء الدين محمد بهاء، المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، دار الفجر، الأردن، ط 1، 1999.
6. بوكاي موريس، القرآن والتوراة والإنجيل، ترجمة الشيخ حسن الخالد، المكتب الإسلامي، لبنان، ط 3، 1990.
7. الجميل محمد بن فارس، النبي و يهود المدينة (دراسة تحليلية لعلاقة الرسول بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 2، 2006.
8. الجندي أنور، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، دار الأنصار، القاهرة، 1979.
9. الحصين سلطان بن عمر بن عبد العزيز، الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية دراسة نقدية لكتاب تاريخ العرب العام، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، 1436 هـ.
10. حكمت بن بشير بن ياسين، الرد على شبهة العنف المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، جامعة الملك عبد العزيز، معهد البحوث والاستشارات، 1428 هـ.
11. درمنغهام إميل، حياة محمد، ص 58، نقلا عن رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية).
12. دينيه إتيان وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1986.
13. رياض بن حمد بن عبد الله العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية)، مركز التأصيل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2015.
14. سيدو لويس، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، مؤسسة هندواوي، القاهرة، دط، د ت.
15. العقريقي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط 3، 1964، ج 1.
16. العمري أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية. دط، دت.
17. العمري رياض بن حمد بن عبد الله، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المجلد الأول، ط 1، 2015 م
18. غالب نجم الدين الكيب، شخصيات من الشرق والغرب، دار الكتاب اللبناني، 1969، د ط.
19. فوزي فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1998.
20. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005.
21. لامنس هنري، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، مطبوعات عويدات، بيروت، ط 3، 1988.
22. لوبون غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هندواوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.
23. محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط 1، 1999.
24. محمد سرور بن نايف زين العابدين، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، 1988.

25. مكسيم رودنسون، محمد، ص 172، نقلا عن "رانيا أحمد محمد إسماعيل، شبهات المستشرق مكسيم رودنسون حول معاملة النبي ليهود بني قينقاع، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 39، 2020 م.
26. ناجي عبد الجبار ، الاستشراق في التأريخ (الإشكاليات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات)، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2013 م.
27. النبهان فاروق، الاستشراق: تعريفه، مدارسه وآثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، الرباط، المغرب، 1433/2012.
28. الهذلي عائشة بنت عايد مفلح، شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليها، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، القاهرة، العدد 72، المجلد 11، 2016 م.
29. يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، المطبعة المخلصية، بيروت، ج2، ط2، 1961.

الرسائل الجامعية:

- فتح الله محمد، الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم (دراسة لترجمتي ريجيس بلاشير وجاك بيرك)، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، 2015/2014 م.

المقالات العلمية:

- رانيا أحمد محمد إسماعيل، شبهات المستشرق مكسيم رودنسون حول معاملة النبي ليهود بني قينقاع، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 39، 2020 م.

- "أخلاق الرسول ومناقبه... في عيون بعض المستشرقين المنصفين"، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 326، 29 كانون الثاني 2014 م.

مواقع الأنترنت:

- أحمد الفراك، استشراق أرنست رينان بين الفكرانية والخوف من مستقبل الإسلام، (2019)، منار الإسلام، 21-06-2019 م.

<https://islamanar.com>

- الغساسبي العربي، محمد رسول الإسلام، من خلال آراء فلاسفة الغرب ومشاهير عظمائه وكتابه، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، العدد 352/351، أبريل - مايو - يونيو 2000 م. <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8654>